

تفسير البحر المحيط

@ 334 في اختلاف ألوان الناس وخلقهم وخلقهم ومللهم . وقيل : صيانا ثم شبا با ثم
 شيوخا وضعفاء ثم أقوياء . وقيل : معنى { أَطْوَارًا } : أنواعا صحيحا وسقيما
 وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا . % .
 قوله عز وجل : { أَلَمْ تَرَ وَآلَ كَيْفَ خَلَقَ اللَّاهُ سَدِيعَ * سَمَآوَاتٍ *
 طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا * وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا *
 وَاللَّاهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا
 وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّاهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا *
 لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
 مَكْرًا كَبِيرًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا
 سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعْقُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ
 الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِمَّا خَطَبُوا تَنَاهَى عَنْهُمُ الْغُرُوقُ فَأُخْرِجُوا نَارًا
 فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّاهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ
 عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا
 عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا لَآئِي فَاَجِرَاءَ كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
 وَلِلْمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ
 الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا . .

لما نبههم نوح عليه السلام على الفكر في أنفسهم ، وكيف انتقلوا من حال إلى حال ، وكانت
 الأنفس أقرب ما يفكرون فيه منهم ، أرشدهم إلى الفكر في العالم علوه وسفله ، وما أودع
 تعالى فيه ، أي في العالم العلوي من هذين النيرين اللذين بهما قوام الوجود . وتقدم شرح
 { طِبَاقًا } في سورة الملك ، والضمير في فيهن عائد على السموات ، ويقال : القمر في
 السماء الدنيا ، وصح كون السموات طرفا للقمر ، لأنه لا يلزم من الطرف أن يملأه المطروف .
 تقول : زيد في المدينة ، وهو في جزء منها ، ولم تقيد الشمس بطرف ، فقيل : هي في
 الرابعة ، وقيل : في الخامسة ، وقيل : في الشتاء في الرابعة ، وفي الصيف في السابعة ،
 وهذا شيء لا يوقف على معرفته إلا من علم الهيئة . ويذكر أصحاب هذا العلم أنه يقوم عندهم
 البراهين القاطعة على صحة ما يدعونه ، وأن في معرفة ذلك دلالة واضحة على عظمة □ وقدرته
 وباهر مصنوعاته . { سِرَاجًا } يستضيء به أهل الدنيا ، كما يستضيء الناس بالسراج في

بيوتهم ، ولم يبلغ القمر مبلغ الشمس في الإضاءة ، ولذلك ؛ جاء هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً ، والضياء أقوى من النور . والإنبيات استعارة في الإنشاء ، أنشأ آدم من الأرض وصارت ذريته منه ، فصح نسبتهم كلهم إلى أنهم أنبتوا منها . وانتصاب نباتاً بأنبتكم مصدران على حذف الزائد ، أي إنباتاً ، أو على إضمار فعل ، أي فنبتم نباتاً . وقال الزمخشري : المعنى أنبتكم فنبتم ، أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم . انتهى . ولا أعقل معنى هذا الوجه الثاني الذي ذكره . { تُمْ - يُعِيدُكُمْ - فِيهَا } : أي يصيركم فيها مقبورين ، { وَيُخْرِجُكُمْ - إِخْرَاجًا } : أي يوم القيامة ، وأكده بالمصدر ، أي ذلك واقع لا محالة . { بَسَاطًا } تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه . وظاهره أن الأرض ليست كروية بل هي مبسوطة ، { سَيْلًا } : طرفاً ، { فَجَاجًا } : متسعة ، وتقدم الكلام على الفج في سورة الحج . .

ولما أصروا على العصيان وعاملوه بأقبح الأقوال والأفعال ، { قَالَ نُوحٌ رَبِّ } { إِنَّ زَنْهَمٌ عَصَوْنِي } : الضمير للجميع ، وكان قد قال لهم : { وَأَطِيعُونَ } ، وكان قد أقام فيهم ما نصه □ تعالى عليه { أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا } ، وكانوا قد وسع عليهم في الرزق بحيث كانوا يزرعون في الشهر مرتين . { وَاتَّبِعُوا } : أي عامتهم وسفلتهم ، إذ لا يصح عوده على الجميع في عبادة الأصنام . { مَن لَّمْ يَزِدْهُ } : أي رؤسائهم وكبرائهم ، وهم الذين كان ما تأثلوه من المال وما تكثروا به من الولد سبباً في خسارتهم في الآخرة ، وكان سبب هلاكهم في الدنيا . وقرأ ابن الزبير والحسن والنخعي والأعرج ومجاهد والأخوان وابن كثير وأبو عمرو ونافع ، في رواية خارجة : وولده بضم الواو وسكون اللام ؛ والسلمي والحسن أيضاً وأبو رجاء وابن وثاب وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر : بفتحهما ، وهما لغتان ، كبخل وبخل ؛ والحسن أيضاً والجحدري وقتادة وزر وطلحة وابن أبي إسحاق وأبو عمرو ، في رواية : كسر الواو وسكون اللام . وقال أبو حاتم : يمكن أن يكون الولد بالضم جمع الولد ، كخشب وخشب ، وقد قال حسان بن ثابت :
% (يا بكر آمنة المبارك بكرها % .

من ولد محصنة بسعد الأسعد .

) %